Quarterly Research Journal of Arabic
ALOROOBA
العروبة
ISSN (Print): 2710-5172
ISSN (Online): 2710-5180

***Volume**: 4* ***Issue**: 2 (April – June 2023)*
Alorooba Research Journal
***ISSN (Print):** 2710-5172* ***ISSN (Online):** 2710-5180*
***HJRS**: https://hjrs.hec.gov.pk/index.php?r=site%2Fresult&id=1021427#journal_result*
***Issue URL**: https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/issue/view/11*
***Article URL**: https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/article/view/73*

***Title**:*

سَوق المعلوم مساق غيره، وبعض تطبيقاته من أحاديث صحيح البخاري

"Sauqul-Maloom Masaqa Ghairihi" to treat the known as unknown, & some of its examples from Sahih Al-bukhari

***Authors**:*

Dr. Muhammad Zuhair Ahmad
Assistant Professor, Arabic Dept
Minhaj University - Lahore
E-mail: zuhairsiddiqui92@gmail.com
ORCID: https://orcid.org/0009-0008-5683-2566

Dr. Faizullah Dar
Assistant Professor, Arabic Dept
Minhaj University - Lahore
E-mail: fdar58@gmail.com
ORCID: https://orcid.org/0009-0005-1707-4799

***Indexation**:*
ISSN, DRJI, Euro Pub, Academia, Google Scholar, Asian Research Index, Index Copernicus International, index of urdu journals.

***Citation**:*
Dr. Muhammad Zuhair Ahmad, & Dr. Faizullah Dar. (2023). "Sauqul-Maloom Masaqa Ghairihi" to treat the known as unknown, & some of its examples from Sahih Albukhari: سَوق المعلوم مساق غيره، وبعض تطبيقاته من أحاديث صحيح البخاري. Alorooba Research Journal, 4(2), 165–178. Retrieved from https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/article/view/73

***Published:** 2023-05-24*
***Publisher**: Alorooba Academic Services SMC-Private Limited Islamabad-Pakistan*

سَوق المعلوم مساق غيره، وبعض تطبيقاته من أحاديث صحيح البخاري

"Sauqul-Maloom Masaqa Ghairihi" to treat the known as unknown, & some of its examples from Sahih Al-bukhari

Dr. Muhammad Zuhair Ahmad
Assistant Professor, Arabic Dept
Minhaj University - Lahore
E-mail: zuhairsiddiqui92@gmail.com ORCID: https://orcid.org/0009-0008-5683-2566

Dr. Faizullah Dar
Assistant Professor, Arabic Dept
Minhaj University - Lahore
E-mail: fdar58@gmail.com ORCID: https://orcid.org/0009-0005-1707-4799

Abstract

The following article based on the implementation of the term, named: "Sauqul-Maloom Masaqa Ghairihi", on Ahadeth-e-Bukhari, this term is related to the one of the three rhetorical sciences, known as Ilm-ul-Badie.

Ancient and modern books on rhetoric sciences, circulate its name as: "Ignoring the knower" (تجاهل العارف), or "Mixing doubt with certainty" (مزج الشك باليقين), except that whoever saw examples of this rule in the Holy Quran and the Sunnah, prefered to name it "Sauqul-Maloom Masaqa Ghairihi", such as Al-Sakaki, the first reknowned Imam who changed this title, and whoever came after him, looking as a discipline for the Qur'anic examples and hadith evidences.

There are many examples of "Sauqul-Maloom Masaqa Ghairihi" in Ahadith. The researcher in this article, will focus Ahadith-e-Sahih Bukhari to implement on. No doubt, because of its importance, the researchers should turn their attention to it, and extract these examples from the hadith books, so that they serve the prophetic rhetoric. Especially in the Sahih al-Bukhari. Ahadith-e-Bukhari are full of evidence of this rule, and we should extract these evidences helping from authentic explanations of Bukhari, and present them to the people, so that they become familiar with the prophetic eloquence, and recognize it.

Key words: *"Sauqul-Maloom Masaqa Ghairihi" to treat the known as unkown* (سوق المعلوم مساق غيره), *"Ignoring the knower"* (تجاهل العارف), *or "Mixing doubt with certainty"* (مزج الشك باليقين), *Ahadith, Al-bukhari.*

١ – التعريف بسوق المعلوم مساق غيره وفوائده البلاغية:

إنّ سوق المعلوم مساق غيره مصطلح من مصطلحات المحسنات المعنوية التي تتعلق بعلم البديع؛ أحد العلوم الثلاثة البلاغية. وقد جرى الاختلاف بين البلاغيين في هذا المصطلح، كما سنذكره قريبًا، وإنّ هذه التسمية، أي: سوق المعلوم مساق غيره، هي مِن أدقّ تسمياته المختلفة اعتبارًا للتّأدب مع الله جلّ وعلا، والاحترام مع الشّاهد القرآني، وما ورد من

الأحاديث النبوية من شواهده، وأوّل من سمى هذا المصطلح بهذا الاسم، هو الإمام السّكاكيّ في كتابه: ‹‹مفتاح العلوم››.

وقبل أن نقدّم الذكر المختصر في وجود الاختلاف في تسمية هذا المصطلح، من المستحسن أن نذكر بعض تعريفاته على طريق الإيجاز، بدءً ممنِ ابتكر هذا المصطلح، ونعرض لتسمية هذا الفن أوّلا، إلى من جاء في الزّمن المتأخّر، ومع ذكر اختلاف ألفاظهم في تعريف هذا الفن البديعيّ.

فأوّل من قام بتسمية هذا المصطلح، وبيّنه هو الخليفة من الخلفاء العباسيين، عبد الله بن المعتز[١]، في كتابه: ‹‹البديع››، وسمّاه بـ: تجاهل العارف، فهو مبتكر هذا الاسم، ولم يسبقه أحد إلى هذه التسمية.

ثم جاء دور أبي هلال العسكري فعرّفه، وأصبح أوّل من عرّفه، وأحرز قصب السّبق في هذا المجال، ولم يشاركه فيه أحد من علماء هذا المجال، وسمّاه بـ: تجاهل العارف، ومزج الشّكّ باليقين، فعرف سَوق المعلوم مساق غيره بقوله:

"إخراج ما يعرف صحّته مخرج ما يشكّ فيه؛ ليزيد بذلك تأكيدًا".[٢]

ثم نجد جذور هذا المصطلح بشكل الإشارة والرّمز إلى وصفه والفائدة منه، وحسن موقعه، عند أبرز علماء القرن الخامس الهجري في علم البلاغة ابن رشيق القيرواني، حيث لم يعرفه، واكتفى بالإشارة إليه على طريقة ابن المعتز، وقال في باب التّشكّك في كتابه: ‹‹العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده››:

"وهو من مُلَح الشّعر وطُرف الكلام، وله في النّفس حلاوة وحسن موقع، بخلاف ما للغلو والإغراق، وفائدته الدّلالة على قرب الشّبهين حتّى لا يفرق بينهما، ولا نميز أحدهما من الآخر".[٣]

ولا يمكن أن ينسى فضل رشيد الدين الوطواط في تقديم تعريف هذا الفن البديع، إذ هو من سلك طريق أبي هلال العسكري، وأبدع، وأجاد، فأضاف في تعريف هذا المصطلح في كتابه: ‹‹حدائق السّحر في دقائق الشّعر››، وقد تأخّر دوره بقرنين عن أبي هلال العسكري، فأصبح تعريفه هذا مرحلة تالية لما عرف به أبو هلال العسكري. فقال[٤]:

"تجاهل العارف وتكون هذه الصنّعة بأن يورد الشّاعر أو الكاتب شيئًا في نظمه أو نثره، ثم يقول: لا أعلم إن كان هذا الشّيء هكذا أو هكذا؟! فيدّعي الجهل به، وهو مع ذلك يعلم حقيقته تمامًا، وهذا الأسلوب موجود في القرآن الكريم"(٥).

وعرّف كمالُ الدين عبد الواحد الزّملكاني تجاهلَ العارف في كتابه: ‹‹التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن››، فيقول:

"التّجاهل، وهو أن تسأل عن شيء تعرفه، موهمًا أنّك لا تعرفه، وأنه ممّا خالجك فيه الشّكّ لقوّة شبه حصل بين المذكورين".(٦)

ومن أبرز من عرّف سَوق المعلوم مساق غيره في القرن السّابع ابن أبي الإصبع المصريّ، وذلك في كتابه: ‹‹تحرير التّحبير››، ومن ميزات تعريفه لهذا الفن أنّه مشتمل على الأغراض التي بها يلقى الكلام في هذا الأسلوب الخاصّ، فيقول فيه:

"وقد سمَّاه مَنْ بعد ابن المعتز الإعنات، وهو سؤال المتكلّم عمّا يعلمه حقيقة تجاهلًا منه به؛ ليخرج كلامه مخرج المدح، أو الذّمّ، أو ليدل على شدّة التَّدله في الحبّ، أو لقصد التعجّب أو التقرير أو التوبيخ، وهو قسمان: قسم يكون الاستفهام فيه عن شيئين؛ أحدهما: واقع، والآخر: غير واقع، وقد ينطق بأحد الشّيئين، ويسكت عن الآخر؛ لدلالة الحال عليه، وهو على قسمين: موجب ومنفي...إلخ".(٧)

وكذلك في نفس القرن المشار إليه أعلاه جاء المظفر العلويّ، وعرّفه في كتابه: ‹‹نضرة الإغريض في نصرة القريض››.(٨) وتعريفه يشبه تعريف الزّملكاني، حيث إنّه جعله محصورا في الاستفهام، وبناه على التّشبيه دون غيره، وكذلك ما أشار إلى وقوعه في كتاب الله، ولم يشر إلى الغرض البلاغي منه، مما يجعله تعريفًا غير شامل كما رأيت.

وننهي كلامنا على ما ذكره الشّريف الجرجانيّ في كتابه: ‹‹التعريفات››، وهو يقول(٩):

"تجاهل العارف، هو سوق المعلوم مساق غيره؛ لنكتة، كقوله تعالى حكايةً عن قول نبيّنا: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾"(١٠).

فسَوق المعلوم مساق غيره إذًا: "أن يعبر عنه بما يدلّ باعتبار أصله على أنه غير معلوم"(١١). وهو "إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشكّ فيه؛ ليزيد بذلك تأكيدًا"(١٢).

ومن فوائده في المعنى مجيئه على ما قيل:

"ليخرج كلامه مخرج المدح، أو الذّمّ، أو ليدل على شدّة التّدلّه في الحبّ، أو بقصد التّعجّب، أو التّقرير، أو التّوبيخ"(١٣).

فإذا كان الغرض البلاغيّ مدحًا، فمثاله نحو: "أمعن أنت أم حاتم"؟، وقد يؤتى لغرض الذّمّ أو التّحقير، نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾(١٤)، فكأنّهم ما عرفوا منه غير أنه رجل ما، أو للتّعجّب، نحو قوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾(١٥). أو التّوبيخ، نحو: "أتضحك بملء فيك كأنّك لا تبالي بما حصل".

ومن فوائده المعنوية: الإيناس، ويدلّ عليه قول الله تعالى لموسى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾(١٦). أو يأتي للتقرير، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾(١٧) والله أعلم.

٢ – المتداول في الكتب من تسمياته المختلفة وسبب الاختلاف فيها:

قد علمتَ ممّا سبق أنّ علماء علم البلاغة اختلفوا في مصطلح هذا الفن، فمنهم من سمّاه بـ: تجاهل العارف، وهم الأكثر المتقدّمون، كابن المعتز، ومن حذا حذوه، وهذا المصطلح هو المتداول في كتب علماء البلاغة السّابقين، ومن لحقهم في هذا المنهج إلى عصرنا.

ومنهم من سمّاه بـ: مزج الشّكّ باليقين، كأبي هلال العسكري، ومن سلك مسلكه، ومنهم من سمّى هذا المصطلح بـ: الإعنات، كابن أبي الإصبع المصري في كتابه: ‹‹تحرير التحبير››، إلى أن جاء السّكاكي، فسمّاه بـ: سَوق المعلوم مساق غيره. ومن المتأخّرين من سماه بـ: استخبار العالم، وشكّ الموقن.

سبب اختلاف السّكاكيّ بمصطلح تجاهل العارف:

ومن المعلوم أنّ هذا الفن البديعيّ ما اشتهر باسم: سوق المعلوم مساق غيره، وإنّما عرف بتسمية تجاهل العارف كما ذكرناه، إلّا أنّ أبا يعقوب السّكاكي تحدّث عنه في تنكير المسند إليه(١٨)، وذكر التّجاهل في البلاغة، ثم أدخله بعد ذلك في التحسين المعنويّ، وسمّاه:

سَوق المعلوم مساق غيره، ولعلّه عدل إلى هذه التسمية تعظيمًا لكتاب الله واحترامًا له حين أورد بعض آياته كأمثلة لهذا النّوع؛ ولهذا قال:

"ولا أحبّ تسميته بالتّجاهل؛ إذ لا يصحّ إطلاق تسمية تجاهل العارف على شيء من آيات الكتاب العزيز".(١٩)

فيمكن لنا القول: إنّ مجيء هذا اللون في كتاب الله وكذلك في الحديث النبويّ، هو السّبب لاختلاف السّكاكي في تسميته، وذلك إجلالًا لكلام الله وصيانة لمقام الأدب، إذ لا يليق بحضرة الباري سبحانه وتعالى أن تنسب إليه كلمة التّجاهل، إذ هو مستحيل في حقّ الله.

كما صرّح به نجم الدين ابن الأثير الحلبي في قوله:

"لا يصح إطلاق تسمية تجاهل العارف على شيء من آيات الكتاب العزيز".(٢٠)

ثم لا يصحّ استعمال كلمة العارف على الله، بل يوصف سبحانه تعالى بالعالم، وهذا؛ لأنّ المعرفة دون العلم. قال الرّاغب الأصفهانيّ:

"ولهذا يقال: الله تعالى عالم بكذا، ولا يقال: عارف به، لما كان العرفان يستعمل في العلم القاصر"(٢١).

وقال المرداوي في ‹‹التّحبير››:

"لا يوصف سبحانه وتعالى بأنه عارف؛ لأن المعرفة قد تكون علمًا مستحدثًا، والله تعالى محيط علمه بجميع الأشياء على حقائقها على ما هي عليه، وهو صفة من صفاته، وهو قديم، وحكي إجماعا". قال ابن حمدان في ‹‹نهاية المبتدئين››: "علم الله تعالى لا يسمى معرفة، حكاه القاضي إجماعا"(٢٢).

فهذا السبب جعل السكاكي يفكر في تغيير اسم هذا المصطلح، فبدله إلى ما هو خيرٌ تأدبًا مع الشّاهد القرآني، وأحسن تأويلا. فجزاه الله عنّا خير الجزاء.

٣ – شواهد سوق المعلوم مساق غيره من أحاديث صحيح البخاري

١– ومن الشواهد الحديثية لسَوق المعلوم مساق غيره الحديث المشهور الذي رواه كثير من الأئمّة، والذي سمي بحديث أصحاب الغار، وكانوا ثلاثة رهط، وفي رواية للبخاري: ثلاثة نفر، وجاء في الحديث قولهم: "اللّهم، إن كنت تعلم إنّما فعلت ذلك ابتغاء مرضاتك...إلخ"(٢٣).

وفيه السّؤال، وليس الغرض منه طلب العلم بشيء، وإنما أراد بسؤاله: اللّهم، إنك تعلم، فأخرج الكلام مخرج الشّكّ؛ لغرض التفويض إليه والرضا بعلمه فيه، وهذا النوع يسميه أهل البلاغة سَوق المعلوم مساق غيره، أو تجاهل العارف، أو مزج الشّكّ باليقين، وهو مصطلح علم البديع، الذي يزيد في المعنى الحسن والجمال.

٢- من الشّواهد التي تظهر لنا في الأحاديث النبويّة، وفي أحاديث البخاري على الخصوص؛ لأننا نخصّص صحيحَ البخاري لذكر شواهد سَوق المعلوم مساق غيره هاهنا، شاهد حديث الاستخارة، والحديث يخبرنا أن النبي عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات كان يعلّم أصحابه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين الاستخارةَ في كلّ الأمور، كتعليمه صلى الله عليه وسلم إيّاهم سورة من سور القرآن. فإذا همّ أحدهم بأمر، عليه أن يصلي صلاة الركعتين نافلة، ثم يدعو بدعاء الاستخارة: "اللّهمّ، إن كنت تعلم أنّ هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري...إلخ" إلى أن قال: "وإن كنت تعلم أنّ هذا الأمر شر لي...إلخ"[٢٤].

فالسّؤال هنا في قوله: "إن كنت تعلم"، ليس المقصود به الاستفسار من حضرة الباري، هل هو يعلم، أو لا يعلم، والعياذ بالله، فإن علم الله محيط بكلّ شيء، فالسّؤال بهذا المعنى محال، وإنّما المراد غير ذلك، وهو كما شرحه الطّيبيّ، قال:

> "معناه: اللّهم إنّك تعلم، فأوقع الكلام موقع الشّكّ على معنى التّفويض إليه والرّضا بعلمه فيه، وهذا النّوع يسمّيه أهل البلاغة: تجاهل العارف، ومزج الشّكّ باليقين"[٢٥].

٣- ومن شواهده ما أخرجه البخاريّ في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "قال رجل لم يعمل خيرًا قطّ، فإذا مات، فحرقوه، واذروا نصفه في البرّ ونصفه في البحر، فوالله، لئن قدر الله عليه، ليعذّبنّه عذابًا لا يعذبه أحدا من العالمين...إلخ".[٢٦]

فإذا تأمّلنا قوله: "فوالله، لئن قدر الله عليه"، وأمعنّا النظر في شروح هذا الحديث، وجدنا الشارحين يذكرون له تأويلات عدة، ومن بينها ما ذكره صاحب ‹‹طرح التثريب في شرح التقريب››، حيث قال:

"إنّ هذا من مجاز كلام العرب، وبديع استعمالها، يسمونه مزج الشّكّ باليقين، وسمّاه بعضهم تجاهل العارف"(٢٧).

٤– ومن شواهده ما رأينا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رجلًا من الصحابة الكرام سأل نبي الله، عليه الصلاة والسلام، عن حكم الصلاة في ثوب واحد، فقال له النبي: "أو لكلّكم ثوبان؟"(٢٨).

إن سؤال النبي صلى عليه وسلم "أو لكلّكم ثوبان؟" في هذا الموقع، ليس الغرض منه طلب العلم بشيء، أو الاستفسار، بل الغرض البلاغيّ منه هو زيادة التقرير، وهو الفنّ البديعي، ويسمى: سوق المعلوم مساق غيره. فالمقصود هو التّقرير وبيان الجواز. قال ابن بطّال:

"أي: لو كانت الصلاة مكروهة في الثّوب الواحد، لكرهت لمن لا يجد إلّا ثوبًا واحدًا، ودلّ جوابه ذلك على أن حكم الصّلاة في الثّوب الواحد لمن يجد الثّوبين هو في الصّلاة في الثّوب الواحد لمن لا يجد غيره"(٢٩).

وليس هذا السّؤال للاستفهام، كما صرّح به العيني في العمدة، دلالة على أنّه للتّقرير، فقال:

"قلت: اللفظ، وإن كان لفظ الاستفهام، ولكن المعنى بالإخبار عمّا كان يعلمه من حالهم في العدم وضيق الثّياب، يقول: فإذا كنتم بهذه الصّفة، وليس لكلّ واحد منكم ثوبان، والصّلاة واجبة عليكم، فاعلموا أنّ الصلاة في الثّوب الواحد جائزة. وقال القاضي عياض: وقول النّبي: أو لكلّكم ثوبان، أو يجد ثوبين، صيغته صيغة الاستفهام، ومعناه: التقرير والإخبار عن معهود حالهم"(٣٠). وهو سوق المعلوم مساق غيره.

٥– ومن الشّواهد الحديثيّة لسوق المعلوم مساق غيره ما رواه سيدنا أنس، وهو ابن مالك، رضي الله عنه، قال سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم: "ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السّماء في صلاتهم"، فاشتدّ النبي قوله في ذلك، حتى قال عليه الصلاة والسلام: "لينتهن [الناس] عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم"(٣١).

بعد إمعان النظر في قول النبي صلى الله عليه وسلم هذا، وجدنا رسول الله عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات، قد اقترح سؤالًا في محضر الصحابة الكرام قائلا: "ما بال أقوام

يرفعون أبصارهم"؟ وليس القصد منه بذلك طلب العلم بالشيء، كما هو يظهر بأسلوب الاستفهام، ولكنه قد ساق المعلوم مساق غيره، والإرادة منه التوبيخ والوعيد، فالغرض البلاغي من الاستفهام هنا هو الزّجر والتّوبيخ.

٦– ولنا شاهد فيما رواه البخاري عن أبي هريرة، رضي الله عنه، في حديث أبي إبراهيم، بأن النبي، عليه الصلاة والسلام، قال: "يلقى إبراهيم أباه [وهو] آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر [بسبب كفره بالله] قترة وغبرة، فيقول إبراهيم لآزر: "ألم أقل لك لا تعصني"، فيقول أبوه [آزر]: فاليوم [بعد أن رأيت العذاب] لا أعصيك، فيقول [سيدنا] إبراهيم عليه السلام: "يا رب! إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد"؟ فيقول [له] الله عز وعلا: [يا إبراهيم] إني [قد] حرمت الجنة على الكافرين [وأبوك آزر منهم]، ثم يقال: "يا إبراهيم، ما تحت رجليك"؟ فينظر [إبراهيم]، فإذا هو بذيخ ملتطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النّار"(٣٢).

إنّ الحديث المذكور أخرجه البخاري في جامعه، وفي الحديث: إن الله جل وعلا سأل النبي إبراهيم عليه السلام في قوله: "يا إبراهيم ما تحت رجليك". وما كان هذا السّؤال من الله تعالى لسيدنا إبراهيم عليه السلام لطلب العلم، كما يُفهم من الاستفهام، ولكن فيه سَوق المعلوم مساق غيره؛ والغرض البلاغي هو الذّمّ، بإظهار التّعجّب بأمر آزر أبي إبراهيم عليه السلام.

فالاستفهام هنا لإظهار زيادة الذّمّ بأمر آزر، والمدافع عنه كان ابنه إبراهيم عليه السلام في حضرة الباري جلّ وعلا. فالله تعالى قد بدّل وجهه وغيّره، وصيّره ضبعًا. فعندئذ قال لإبراهيم: "يا إبراهيم، ما تحت رجليك"؛ ليراه ولا يدافع عنه بل يتبرأ منه. وهذا ما أشار إليه الشارحون حيث قالوا:

> "وقيل: الحكمة في مسخه ضبعا... ولأن إبراهيم بالغ في الخضوع له وخفض الجناح، فأبى واستكبر وأصر على الكفر، فعومل بصفة الذّلّ يوم القيامة، ولأن للضّبع عوجًا، فأشير إلى أن آزر لم يستقم، فيؤمن، بل استمر على عوجه في الدين"(٣٣).

وقال العيني:

"وحملت إبراهيم الرّأفة على أن يشفع فيه، فأري له على خلاف منظره؛ ليتبرأ منه"(٣٤).

٧– ومن الشّواهد الحديثية ما أخرجه البخاري(٣٥) في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في إثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة، وفي هذا الحديث الطويل سأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبيَّ: "هل نرى ربنا يوم القيامة". فلم يرد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فورًا، ولكن سألهم قائلا: "هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟". فأجاب الصحابة أجمعون: لا يا نبي الله، ثم سألهم مرّة ثانية دون أن يجيبهم عن سؤالهم: "فهل تمارون في الشّمس ليس دونها سحاب"؟ ثم في المرة الثّالثة أجابهم بسؤالهم بأنكم سوف ترونه، ولكن، لنتوقف ساعة، ونتفكر في منهج النبي صلى الله عليه وسلم، كيف سأل؟ ولماذا سأل؟

فإذا تأمّلنا في هذا الحديث، وفيما سألهم نبيّهم عليه الصلاة والسلام، وجدنا أن سؤاله: "هل تمارون [أنتم، أي: أصحاب الرّسول المخاطبين] في القمر ليلة البدر"، وكذلك سؤاله إيّاهم في قوله: "فهل تمارون في الشّمس ليس دونها سحاب"؟ ليس المقصود هنا طلب العلم بشيء لم يكن يعرفه النبي من قبل السّؤال، فعرف بعده. قال ابن رجب الحنبليّ:

"يحتمل أن يكون المراد: هل يحصل لكم تمار واختلاف في رؤيتهما؟ فكما لا يحصل لكم في رؤيتهما تمارٍ واختصام، فكذلك رؤية الله عزّ وجلّ"(٣٦).

فالغرض البلاغيّ من طرح السّؤال عن رؤية القمر، والشّمس، ليس دونهما سحاب، هو إثبات وتقرير رؤية الله تعالى، أو التّشويق في نفوسهم، وهذا الأسلوب هو الفنّ البديعي، يسمّى سوق المعلوم مساق غيره.

٨– وجاء في حديث رواه الإمام البخاري في جامعه عن سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن نبينا محمّدا عليه الصلوات والتسليمات سأل: "أيكم مال وارثه أحبّ إليه من ماله"؟ قالوا [أي: أصحابه]: "يا نبي الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه"، قال لهم النبي: "فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر"(٣٧).

وفي سؤاله إياهم، بقول: "أيكم مال وارثه أحبّ إليه من ماله"؟ سَوق المعلوم مساق غيره؛ لأن الغرض البلاغي من هذا الاستفهام هو التّحريض، كما قال ابن رجب:

"قال ابن بطّال وغيره: فيه التّحريض على تقديم ما يمكن تقديمه من المال في وجوه القربة والبر لينتفع به في الآخرة"(٣٨).

وقال المغامسي:

"ليس السّؤال للاستفهام، وطلب العلم بالشّئ، وإنّما هو لزيادة التّنبيه والتّشويق في حقّ المؤمنين على أن يقدموا من مالهم لآخرتهم".(٣٩)

٩– وجاء في حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، أنّه قال: "لمّا نزلت [من القرآن آية]: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾(٤٠) قال الصحابة الكرام: "أينا [يعني: أيّ منّا] لم يظلم يا رسول الله"؟ فأنزل الله جلّ وعلا: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٤١).

إذا تأمّلنا في هذا الحديث وجدنا فيه قول أصحاب النبيّ: "أيّنا لم يظلم"؟ فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس الغرض من هذا السّؤال هو الاستفسار وطلب الخبر، ولكن ساقوا الكلام هنا مساق غيره، والسّؤال هنا لزيادة التّقرير في إثبات إمكان الظّلم منهم أجمعين.

والسّبب فيه لأنّ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عندما سمعوا الآية، فهموا منها الظّلم على الإطلاق، وكان سؤالهم إظهارًا للتّعجّب، أو تنبيهًا على الضّلال والهلاك لكلّ من ظلم، فشقّ عليهم ذلك. قال الخطّابيّ:

"إنّما شقّ عليهم ما ظلموا به أنفسهم من ارتكاب المعاصي، فظنوا أنّ المراد ههنا معناه الظّاهر، فأنزل الله تعالى الآية ومن جعل العبادة وأثبت الرّبوبية لغير الله تعالى، فهو ظالم بل أظلم الظّالمين"(٤٢).

١٠– إنّ حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه البخاري في جامعه شاهد آخر على سوق المعلوم مساق غيره، فيقول الصحابي الجليل أبو سعيد الخدريّ: "قال رسول الله لأصحابه أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ [فلمّا سمعوا] فشقّ ذلك عليهم، وقالوا لرسول الله عليه الصلاة والسلام: أيّنا يطيق ذلك؟ فقال: الله الواحد الصّمد ثلث القرآن"(٤٣).

وفي هذا الحديث سيق الكلام مساق غيره في سؤال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصّحابة الكرام بقوله: "أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة"، إذ؛ ليس هذا من باب الاستفهام، قصد به طلب العلم، فرسول الله عليه الصلاة والسلام كان أعلم بهم منهم. فكان عنده علم بأن قراءة ثلث القرآن في ليلة واحدة ليس ممكنًا بسهولة. فسألهم هاهنا للتقرير على

عجزهم، وقد أقروا بذلك في قولهم: "أينا يطيق ذلك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم"؟ أو كان هذا السؤال للتّشويق؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يعرف بأن أصحابه إذا علموا سورة الإخلاص تساوي ثلث القرآن، زادوا شوقًا إلى قراءتها.

فخلاصة الكلام أن هذا النوع من المحسنات اللفظية لها أثر خلاب، وله أهمية بالغة في كلام العرب، وقد تداولت الكتب القديمة والحديثة اسمَه: تجاهل العارف، أو مزج الشك باليقين، إلا أن من رأى له الأمثلة في الكتاب والسنة، غير اسمه إلى سوق المعلوم مساق غيره كالسكاكي ومن جاء بعده، تأديبا للأمثلة القرآنية والشواهد الحديثية. وإن في الأحاديث أمثلته، ينبغي على الباحث والدارس أن يلتفت أنظاره إليه، ليستخرجها من الكتب الحديثية، فيخدم البلاغة النبوية، وخصوصا في الجامع الصحيح للبخاري. فإن أحاديث صحيح البخاري ملآنة بشواهد سوق المعلوم مساق غيره، وينبغي لنا أن نستخرج تلك الشواهد من الجامع الصحيح، ونقدمها إلى الناس، ليستأنسوا بالبلاغة النبوية، ويتعرفوها. والله المستعان، وإليه التكلان.

(الهوامش ***References***)

(١) البديع في البديع لأبي العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله، (ت: ٢٩٦هـ)، ص: ٦٢، دار المسيرة – عمان، الأردن، ط: ٣، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

(٢) الصناعتين، لأبي هلال، حسين بن عبد الله بن سعد العسكري، (ت: ٣٩٥هـ)، ص: ٤١٢-٤١٣، المكتبة العصرية – بيروت، لبنان، د. ط، ١٤٠٦هـ.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: ٤٦٣هـ)، ٢/٦٦-٦٧، دار الجيل – بيروت، لبنان، ط: ٥، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.

(٤) حدائق السحر في دقائق الشعر، لرشيد الدين محمد بن محمد الوطواط، ص: ١٥٨، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة، مصر، د. ط، ١٩٤٥م.

(٥) سورة سبأ، ٢٤/٣٤.

(٦) التبيان في علم البيان المطّلع على إعجاز القرآن، لكمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني، ص: ١٨٨-١٨٩، مطبعة العاني – بغداد، العراق، ط: ١، ١٣٨٢هـ-١٩٦٤م.

(٧) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لأبي الإصبع، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري، (ت: ٦٥٤هـ)، ص: ١٣٥، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، د. ط، د. ت.

(٨) نضرة الإغريض في نصرة القريض، للمظفر بن الفضل العلوي، (ت: ٦٥٦هـ)، ص: ١٩٢، مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق، د. ط.

(٩) التعريفات، للشريف لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، (ت: ٨١٦هـ)، ص: ٥٣، دار الكتاب العربي – بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ.

(١٠) سورة سبأ، ٢٤/٣٤.

(١١) شموس البراعة، لأبي الأفضال محمد فضل حق الرامفوري، ص: ١٣٧، مكتبة المدينة –كراتشي، باكستان، د. ط، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(١٢) أساليب المعاني في القرآن، للسيد جعفر، ص: ٤٠٩، مؤسسة بوستان – قم، إيران، د. ط، ١٤٢٨هـ.

(١٣) المصدر نفسه، ص: ٤١٠.

(١٤) سورة سبأ، ٣٤/٧.

(١٥) سورة الطّور، ٥٢/١٥.

(١٦) سورة طه، ٢٠/١٧.

(١٧) سورة المائدة، ٥/١١٦.

(١٨) مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، (ت: ٦٢٦هـ)، ص: ١٩٢، ٤٢٧، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، د. ط، ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م.

(١٩) المصدر نفسه، ص: ٤٢٧، وفي كتاب الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب محمد عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني، (ت: ٧٣٩هـ)، ص: ٥٣٠، دار إحياء العلوم – بيروت، لبنان، د. ط، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.

(٢٠) جوهر الكنز، تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة لنجم الدين أحمد بن إسماعيل، المعروف بـ: ابن الأثير، الحلبي، (ت: ٧٣٧هـ)، ص: ٢٠٨، منشأة المعارف – الإسكندرية، مصر، جلال حزي وشركاه، د. ط، د. ت.

(٢١) الذريعة إلى مكارم الشّريعة، لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بـ: الراغب الأصفهاني، (ت: ٥٠٢هـ)، ص: ١٤١، دار السلام – القاهرة، مصر، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م.

(٢٢) التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، لعلاء الدين أبي الحسن علي الصّالحي، ١/٢٣٧، مكتبة الرشد – الرياض، السعودية، ط: ١، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.

(٢٣) الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة البخاري، (ت: ٢٥٦هـ)، باب: من استأجر أجيرًا، ٢/٧٩٣، الرقم: ٢١٥٢، وفي باب: حديث الغار، ٣/١٢٧٨، الرقم: ٣٢٧٨، دار القلم – دمشق، سوريا، دار السلام – مكة المكرمة والرياض، ط: ١٠، ١٩٩٩م.

(٢٤) والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب التطوع، ١/٣٩١، الرقم: ١١٠٩، وفي باب الدعاء بكثرة الولد مع البركة، ٥/٢٣٤٥، الرقم: ٦٠١٩.

(٢٥) انظر: مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لإبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبي إسحاق ابن قرقول (ت: ٥٦٩هـ)، ١/٣١١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ط: ١، ١٤٣٣هـ–٢٠١٢م. وفي مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن علي بن سلطان محمد نور الدين الملا الهروي القاري، (ت: ١٠١٤هـ)، ٣/٩٨٦، دار الفكر – بيروت، لبنان، ط: ١، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م.

(٢٦) والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، باب: قول الله تعالى: يريدون أن يبدلوا كلام الله، ٦/٢٧٢٥، الرقم: ٧٠٦٧.

(٢٧) انظر: طرح التثريب في شرح التقريب، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، (ت: ٨٠٦هـ)، ٣/٢٦٧، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، د. ط، د. ت.

(٢٨) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: الصلاة في الثوب الواحد ملتحفًا به، ١/١٤١، الرقم: ٣٥١.

(٢٩) شرح ابن بطال، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، (ت: ٤٤٩هـ)، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ٢/٢٠، مكتبة الرشد – الرياض، السعودية، ط: ٢، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٣م.

(٣٠) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد بن موسى العيني، (ت: ٨٥٥هـ)، ٦/١٨٠، دار الفكر – بيروت، لبنان، د. ط، ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م.

(٣١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: رفع البصر إلى السماء في الصلاة، ١/٢٦١، الرقم: ٧١٧.

(٣٢) المصدر نفسه، باب: قول الله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خيلًا، ٣/١٢٢٣، الرقم: ٣٣٥٠.

(٣٣) هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الكناني العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، ٨/٥٠٠، دار نشر الكتب الإسلامية – لاهور، باكستان، د. ط، ١٤٠١هـ–١٩٨١م.

(٣٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢٣/٢٠٤.

(٣٥) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: فضل السجود، ٢٧٧/١ الرقم: ٧٧٣.

(٣٦) فتح الباري، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن حسن، ابن رجب الحنبلي، (ت: ٧٩٥هـ). ت: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وزملاؤه، ٢١٣/٣، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة، السعودية، د. ط، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(٣٧) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: ما قدم من ماله فهو له، ٢٣٦٦/٥، الرقم: ٦٠٧٧.

(٣٨) فتح الباري، لابن رجب الحنبلي، ٢٦٠/١١.

(٣٩) شرح كتاب الرقاق من صحيح البخاري، لأبي هاشم صالح المغامسي، ٤/٢.

(٤٠) سورة الأنعام، ٨٢/٦.

(٤١) سورة لقمان، ١٣/٣١، وأخرجه البخاري في صحيحه، باب: ظلم دون ظلم، رقم: ٣٢.

(٤٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧٧/٢. إرشاد الساري، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، (ت: ٩٢٣هـ)، ١١٧/١، دار الفكر – بيروت، لبنان، د. ط، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

(٤٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: فضل قل هو الله أحد، ١٩١٦/٤، الرقم: ٤٧٢٧.

Translitration

- *The Holy Quran.*

- *Ālbadīʿ Fī Al-Badīʿ, Lʾabī Al-ʿbās, ʿbd Al-Lah Ibn Muḥamad Al-Muʿtaz Bellah.*
- *Ālḏarīaʿẗ Ila Makārem Al-Šwarīaʿẗ, Leʾabī Al-Qāsem Al-Ḥusaīn Ibn Muḥamad, Al-Maʿrūf Be Al-Rāġeb Al-ʾaṣfahānī.*
- *Ālğāmʿ Al-Ṣaḥīḥ Le ʾabī ʿabd Allah Muḥamad Ibn Ismāiʿl Ibn Ibrāhm Al-Buẖārī.*
- *Ālīḍāḥ Fī ʿulūm Al-Balāġaẗ, Lelẖaṭīb Muḥamad ʿabd Al-Raḥman Al-Maʿrūf Bel ẖaṭīb Al-Qezwynī.*
- *Ālṣenāʿtaīn, Leʾabī Helāl, Ḥusaīn Ibn ʿbd Al-Lah Ibn Saʿd Al-ʿskarī.*
- *Āltaḥbīr Šarḥ Al-Taḥrīr Fī Uṣūl Al-Feqh, Le ʿalāʾ Al-Dīn Abī Al-Ḥasan ʿalī Al-Ṣālḥī.*
- *Ālitaʿrīfāt, Le Ašrīf ʿalī Ibn Muḥamad Ibn ʿalī Al-Ğurğānī.*
- *Āltebīān Fī ʿelm Al-Bīān Al-Muṭleʿ ʿala Iʿğāz Al-Qurʾān, Le Kamāl Al-Dīn ʿabd Al-Wāḥed Ibn ʿabd Al-Karīm Al-Zamlekānī.*
- *Ālʿumdaẗ Fī Maḥāsen Al-Šeʿr Ūa ʾādābeh Ūa Naqdeh, Leʾabī ʿalī Al-Ḥasan Ibn Rašīq Al-Qaīrawānī Al-ʾazdī.*
- *ʾasālīb Al-Maʿānī Fī Al-Qurʾān, Lelsīd Ğaʿfar.*
- *Fatḥu Al-Bārī, Lezaīn Al-Dīn ʿabd Al-Raḥman Ibn Aḥmad Ibn Rağab Ibn Ḥasan, Ibn Rağab Al-Ḥanbalī.*
- *Ğaūhr Al-Kanz, Talẖīṣ Kanz Al-Barāʿẗ Fī Adawāt Ḏawy Al-Barāʿẗ Lenağm Al-Dīn Aḥmad Ibn Ismāʿīl, Al-Maʿrūf Be Ibn Al-ʾaṯīr, Al-Ḥalabī.*
- *Ḥadāʾiq Al-Seḥr Fī Daqāʾiq Al-Šeʿr, Le Rašīd Al-Dīn Muḥamad Ibn Muḥamad Al-Ūṭwāṭ.*
- *Hadī Al-Sārī Muqademaẗ Fatḥu Al-Bārī Be Šarḥ Ṣaḥīḥ Al-Buẖārī Le ʾaḥmad Ibn ʿalī Ibn Muḥamad Ibn Muḥamad Ibn ʿalī Ibn Aḥmad Al-Knānī Al-ʿasqlānī.*

- *Iršād Al-Sārī, Le ʾabī Al-ʿabās Šahāb Al-Din Aḥmad Ibn Muḥamad Al-Qasṭalānī.*
- *Maṭāleʿ Al-ʾanwār ʿala Ṣeḥāḥ Al-ʾāṯār, Le Ibrāhīm Ibn Īūsuf Ibn Adhm Al-Ūhrānī Al-Ḥamzī, Abī Isḥāq Ibn Qarqūl.*
- *Meftāḥ Al-ʿulūm, Le ʾabī Īʿqūb Īūsf Ibn Abī Bakr Muḥamad Ibn ʿalī Al-Sukākī.*
- *Merqāẗ Al-Mafātīḥ Šarḥ Meškāẗ Al-Maṣābīḥ Le ʾabī Al-Ḥasan ʿalī Ibn Sulṭān Muḥamad Nūr Al-Dīn Al-Mulā Al-Harawy Al-Qārī.*
- *Nuḍraẗ Al-Iġrīḍ Fī Nuṣraẗ Al-Qarīḍ, Lelmuẓafar Ibn Al-Faḍl Al-ʿlawy.*
- *Šarḥ Ibn Baṭāl, Le ʾabī Al-Ḥasan ʿalī Ibn ẖalaf Ibn ʿabd Al-Malek.*
- *Šarḥ Ketāb Al-Raqāiq Men Ṣaḥīḥ Al-Buẖārī, Le ʾabī Hāšem Ṣāleḥ Al-Maġāmsī.*
- *Šumūs Al-Barāʿẗ, Le ʾabī Al-ʾafḍāl Muḥamad Faḍl Ḥaq Al-Rāmfūrī.*
- *Taḥrīr Al-Taḥbīr Fī Ṣenāʿẗ Al-Šeʿr Wālnaṯr Ūa Bīān Iʿğāz Al-Qurʾān, Leʾabī Al-Iṣbaʿ, ʿabd Al-ʿaẓīm Ibn ʿabd Al-Wāḥed Ibn Ẓāfr Ibn Abī Al-Iṣbaʿ Al-ʿadwānī.*
- *Ṭarḥ Al-Taṯrīb Fī Šarḥ Al-Taqrīb, Le ʾabī Al-Faḍl Zaīn Al-Dīn ʿabd Al-Raḥīm Ibn Al-Ḥusaīn Ibn ʿabd Al-Raḥman Ibn Abī Bakr Al-ʿerāqī.*
- *ʿumdaẗ Al-Qārī Šarḥ Ṣaḥīḥ Al-Buẖārī, Le Badr Al-Dīn Abī Muḥamad Maḥmūd Ibn Aḥmad Al-ʿaīnī.*